سلسلة بطاركة الطائفة المارونية

للبطريرك اسطفان الدويهي

عُني بنشرها المعلم رشيد الخوري الشرتوني

ان اول من اهتمّ بتدوين سلسلة لبطاركة طائفتنا هو الطيب الذكر البطريرك اسطفان الدويهي (المتوفى سنة ١٧٠٤) فقد خلّف لنا في جملة تركته العلمية رسالة جليلة القدر عُني فيها باثبات اسماء بطاركة الطائفة من عهد ابينا القديس مار يوحنا مارون الى أيّامه. ولا اعرف أحدًا قبلهُ من علمائنا اهتمّ بهذه المسألة كاهتمامه بها. وقد وقفتُ على نسختين من هذه الرسالة احداهما محفوظة في المكتبة الشرقية في كليّة القديس يوسف والاخرى اقدم عهدًا ومنقولة عن نسخة تخصُّ دير اللويزة. وقبل الشروع في ايراد كلام الدويهي لا ارى بدًّا من الاتيان ببعض الايضاحات التمهيدية اغنامًا للفائدة فاقول:

اولًا ان بطاركة طائفتنا المارونيّة لم يستقرُّوا في مكان واحدٍ بل اقاموا منذ سنة ٦٨٥ للمسيح الى عهدنا الحاضر جملوا كراسيهم في مواضع متعددة من ابرشيّات البترون وجبيل وطرابلس. ففي سنة ٦٨٥ للميلاد الالهي كان الكرسي البطريركي في دير مار مارون في قرية كفرحيّ من أعمال البترون ثم نُقل بعد البطريرك جبرائيل الاوّل الى سيدة يانوح في ابرشيّة جبيل حيث استمرَّ الى سنة ١١٢٠ بعد ان تعاقب عليهِ سبعة عشر بطريركًا. ومنها نُقل ثالث مرَّة الى دير سيدة ميفوق في وادي إهليج التابع للبترون. ونُقل رابع مرَّة بعد ثلاثة بطاركة توالوا عليهِ الى دير مار الياس في بلّمند من عمل جبيل ثمَّ الى دير سيدة ميفوق ثانيةً في رئاسة البطريرك إيليا المَشْيتي سنة ١٢٠٩ ثمَّ الى دير مار قبريانوس في كفيفان. ثم الى دير مار مارون في كفرحيّ ثم الى دير مار جرجس في الكفر ثم الى دير سيدة يانوح ثم الى دير سيدة ميفوق ثالثةً ثم الى دير مار سركيس في حَرْديين سنة ١٣٦٧ الى سنة ١٤٠٤. ثمَّ الى دير سيدة قنّوبين

وعلى ذلك فيكون بطاركة الموارنة قد غيّروا مواقع كراسيهم حسب مُقتضيات الزمان اربع عشرة مرَّة. وقد حكم آباء المجمع اللبناني الذي انعقد في دير سيدة اللُّويزة عام ١٧٣٦ ان يكون دير قنّوبين كرسيًا ثابتًا للبطاركة لا يُترك ولا يُنقل الى مكان آخر الّا عن علّة داعية وفي مجمع اساقفة وبطريرك

على ان بطاركة طائفتنا اذا كانوا قد عدلوا عنهُ واتّخذوا السكنى في مواضع اخرى لبعض الاحوال التي اقتضت ذلك فما زالت جميع السجلّات المَدْبريّة التي تُرسل اليهم تثبيتًا للبطريركية تذكر هذا الكرسي البطريركي في دير قنّوبين (راجع المجمع اللبناني قسم ٣ راس ٦ صفحة ٣٩٧)

واقول ثانيًا ان المؤلف لم يتيسّر لهُ ان يحرّر السنين التي فيها تولى كثيرون من قدماء هؤلاء البطاركة رعاية الشعب الماروني وذلك بسبب تلف الكتب التاريخية من جرّاء الحروب والاضطرابات غير انّهُ لما كان قد طاف بنفسه (كما شهد البطريرك سمعان عوّاد كاتب ترجمته)

كل البلاد التي قطنتها طائفته فقلّب ما كان باقيًا من الكتب في كنائسها او في منازل البعض من أفرادها استمان بما قيّدهُ الناسخ فيها على إثبات مقصده. لانَّ الناسخ الكنائسيين في هذه البلاد كانت لهم عادة مستحسنة ولم تزل جاريةً الى اليوم وهي انهم يذكرون اسم البطريرك الذي يكون متولّيًا تدبير الطائفة وقت نجازهم من النسخ ويضيفون اليهِ ايضًا اسم المطران الذي يرأس ابرشيتهم الخصوصيّة

وفي جملة ما تذرّع بهِ لتحرير اسماء البطاركة القدماء وتواريخ قيامهم ما وجدهُ في بعض الكتب مدونًا بخطوط ايديهم الّا انهُ مع ما بذل في هذا السبيل من التنقيب والبحث لم يتمكن من الوصول الى اسماء جميع البطاركة الذين أقاموا في دير سيدة هايل بين البطريرك يوحنا اللحفدي والبطريرك ارميا المشيتي

وقد قابلتُ كلامهُ مع ما جاء في المجمع اللبناني بشان سلسلة البطاركة فوجدتُ ان آباء المجمع المومأ اليهِ قد سلكوا على آثارهِ واستضاءوا بانوارهِ. وجلّ ما يختلفون بهِ عنهُ هو انهم حذفوا الادلة التي أتخذها الدويهي حجّةً على تأييد غايتهِ

ثالثًا انهُ لما كان المؤلف قد شرح باسهاب في كتابهِ تاريخ الطائفة المارونية كثيرًا من المسائل الواردة في هذه الرسالة اكتفيتُ بردّ المطالع الى المواضع التي ورد فيها بيان المسائل المذكورة من الكتاب الآنف

رابعًا ان السيد يوسف السمعاني صاحب المكتبة الشرقيّة قد الّف بالعربية نبذة في سلسلة بطاركة انطاكية طبعها في رومية بمطبعة مجمع انتشار الايمان المقدس سنة ١٨٨١ حضرة القس يوحنا نطين الراهب الحلبي اللبناني خادم كنيسة الموارنة حالًا في مدينة ليفورنو بايطالية. وقد عارضتها بما دوّنهُ الدويهي هنا فرأيت كلام هذين المؤلّفين متوافقًا الّا في الامور الآتية وهي ان الدويهي ذكر بعد البطريرك سمعان الذي هو البطريرك التاسع عشر على الموارنة اربعة بطاركة وهم ارميا ويوحنا وشمعون وشمعون وهؤلاء لم يذكرهم السمعاني

ثم انَّ السمعاني ذكر ثلاثة من البطاركة باسم بطرس اقاموا في دير سيدة هايل بين يوحنا اللحفدي وارميا المشيتي وقد صرّح الدويهي كما سترى انهُ لم يعتدِ الى اسمائهم

خامسًا وذكر الدويهي بين دانيال الشاماتي الجيلي الذي هو الثالث والثلاثون من بطاركة الموارنة بطريركًا باسم يوحنا وهذا لم يذكره السمعاني فيكون بطاركة الموارنة كما عدّهم الدويهي حتى اتخاذهم دير قنوبين كرسيًا لهم اربعين بطريركًا وكما عدّهم السمعاني ثمانية وثلاثين. وجملة البطاركة الى اليوم على الرواية الاولى واحد وسبعون وعلى الرواية الثانية ستة وستون. واما البطاركة الكاثوليكيون الذين خلفهم القديس يوحنا مارون على كرسي انطاكية فكانوا اثنين وستين

سادسًا اني اصلحت في عبارة المؤلف ما خالف أصول الاعراب لا غير وتركت الباقي كما صدر من قلمهِ اطلاعًا للقارئ على حال العربية وتاريخ فصاحتها عند اللبنانيين الذين كانوا حديثي عهد في كسبها اثر تركهم للسريانية

اما كلام الدويهي في رسالته المذكورة فهذا نصه بالحرف :

ليس المقصود ههنا الإخبار عن جميع الرؤساء الذين تشرّفوا بولاية كرسي انطاكية منذ بطرس هامة الرسل الى يومنا هذا بل منذ حدثت الفرقة لا غير فانهُ لما اضطربت احوال الشرق وتضعضع رؤساء انطاكية تغلّب على رئاسة كرسيها ثلاث طوائف مقيمة الى هذا الآن في بلاد الشام اعني الروم والموارنة واليعاقبة

امّا اليعاقبة فانقادوا الى تعاليم ساويروس الذي في سنة ٥١٢ تملّك الكرسي الانطاكي وبما انهُ زاغ عن صحّة الديانة وأفسد الرأي القويم بتعاليمهِ انّ لربنا طبيعةً واحدةً طاهرةً الآباء بالحرم. وفي السنة الثالثة أخلى الكرسي وهرب الى مصر فتسمّى الذين تبعوا رأيه يعاقبة من يعقوب البرادعي تلميذهِ وجعلوا سكن بطاركتهم في ماردين في دير الزعفران. واما الآباء المهذّبو الرأي فاقاموا بدل ساويروس بولس البطريرك الاثوذكسي ثمّ الذين خلفوهُ على الكرسي الانطاكي الى ان تولّاهُ مقاريوس. فضلّ هو ايضاً عن استقامة الديانة وصار يعلّم ان لربنا مشيئة واحدة. ولاجل ذلك عقد عليهِ الآباء في القسطنطينية المجمع السادس في سنة ستمائة وخمس وثمانين (١. ومات وعقبهُ (٢ على رضى الاكليروس الانطاكي يوحنّا السروجي ابن اغاتون وقيل انهُ ابن اليديوس ابن اخت كارلو مانيو الشريف الجنس الذي قدم من بلاد فرنسة وحكم انطاكية والبلدان الشرقية فهذا البارّ لصحة ديانتهِ دخل بنفسهِ الى رومية وقبل الامفوريون اعني درع كمال الرئاسة من يد البابا سركيس الانطاكي الاصل وعندما رجع الى كرسيه ردّ كثيرين من اليعاقبة ومن تلاميذ مقاريوس الى الاقرار بالطبيعتين والمشيئتين (٣. وكان في ذلك العصر جالساً على تخت

---

١) والصواب انّ افتتاح المجمع السادس المسكوني كان في تشرين الثاني سنة ٦٧٩ وانتهى في ايلول سنة ٦٨١ به حُرم مقاريوس بطرك انطاكية لقولهِ بان في المسيح طبيعة ومشيئة واحدة واختار الآباء بدلهُ تاوفانس بطركاً على انطاكية (راجع المكتبة الشرقية للسمعاني المجلد ١ ص ٤٩٦)

٢) ذكر المؤلّف في هذه الرسالة ان القديس يوحنّا مارون ترقّى الى البطريركية بعد وفاة مقاريوس والصواب ان الذي خلف مقاريوس هو البطريرك تاوفانس كما مرّ. ولا شكّ انّ الناسخ اسقط هنا ما قد اثبتهُ الدويهي في عرض هذه الرسالة ايضاً كما في بقيّة تآليفهِ

٣) اعتمد الدويهي في نسب القديس يوحنا مارون على كتاب قديم العهد وجد بخط كرشوني في كنيسة السيدة بدمشق الشام وعلى الاخبار التي أرسلها القس جبرائيل ابن القلاعي الى القس جرجس بن نشارة سنة ١٦٩٥ وطبعها باللاتينيّة فرنسيس كوارسميوس سنة ١٦٣٤ واخيراً على ما

مملكة الروم يوستينيانوس الاخرم فاطفاه عدو الخير حتى استمال عقله الى زعم رؤساء الكهنة المتمكنين بمشيئة واحدة فانشأ الاضطهاد على سركيس صاحب الكرسي الروماني(١ ولاجل ذلك اضطرّ البطريرك يوحنّا ان ينتقل من انطاكية الى دير مار مارون الذي في سوريّة

نقلهُ عبدالله بن الطيّب في كتابه عن الرؤساء التابعين لأمانة الآباء الثلاثمائة والثمانية عشر وعلى كاتب قصة يعقوب البرادعي وغيره من كتبة البابئة

وذكر في كتابه « تاريخ الطائفة المارونية » في الفصل الثامن ان الكتاب القديم الذي وجد في دمشق أوقفه عليهِ رجل من اصدقائه اسمهُ القس ميخائيل المطوشي وهو يتضمّن كثيرًا من اخبار السلف وفي جملة ذلك القصة المحكي عنها وهذه حرفيتها « كان رأس الأمة المارونية رجل اسمهُ يوحنا وكان عالمًا كثير الفضائل والحامد راصله من جنس شريف واسم ابيهِ اغاثون وامه انرماميا وجده البديبس ابن أخت كارلو مانير ملك فرنسة . ولما قدم هذا الملك بلاد سوريّة وتملّكها جعل البديبس مقامهُ في مدينة انطاكية فرزق ولدًا سمّاهُ اغاثون ولمّا شبّ اغاثون وتزوج ولد لهُ ولد سمّاهُ يوحنّا فتأدب يوحنّا هذا بالعلوم الروحانية ومهر بالتفاسير الانجيلية وبرع في العلوم السريانية وتمطق بنطاق النسك والعفاف وأقيم اخيرًا بطريركًا على الامة المذكورة ». وظنّ الدويهي ان هذا الكلام هو لابن الطيب

وسواء كان لابن الطيب او لغيره فانهُ مبهم يصعب ايضاحه لأنّ كرلو مانير توفي سنة ٨١٤ ولم يرد في تاريخ من التواريخ لا عنهُ ولا عن البديوس وأغاثون انهم اتوا الى سورية . وقد قال الدويهي نفسهُ بمثل هذا وذهب الى أن القصة يمكن ان تكون منسوبةً الى غير هذا الامير او انها صادقة على احد اقربائه الذين سلفوا قبل ان يضبطوا ملك فرنسة . والله اعلم

واما سفر القديس يوحنا مارون الى رومية بصحبة قاصد البابا سركيس او سرجيس وقبولهُ منهُ درع كمال الرئاسة فقد اثبتهُ الدويهي ايضًا في الفصل المذكور واعتمد في ذلك على القصة القديمة التي سبق ذكرها وعلى شهادة جبرائيل القلاعي الماروني ويوحنّا شوار يوس من وبرا في الفصل ٢٧ من كتاب سفره الى اورشليم . واما السيد يوسف السمعاني فقد ارتأى عكس ذلك كما يظهر من مراجعة المجلد ٤ راس ٢٠ ص ٤٠٤ من مكتبة الماموس القانوني والمدني والمجلد ١ ص ٥٠٣ من المكتبة الشرقية . امّا البطريرك يوسف اسطفان فقد ذكر في تأليفه « قداسة يوحنّا مارون » قصة عن سنكسار للسواونة قديم وبرهن انهُ كان منهُ نسختان بالخط الكرشوني في مكتبة مار بطرس في رومية تحت عدد ٢٧ و ٢٨ وتخبر هذه القصة عن ذهاب يوحنا مارون الى رومية وتكريم البابا سرجيس لهُ وايد ذلك ايضًا بشهادة يوحنا شوار يوس المارّ ذكره وشهادة الاب ايرونيموس دنديني اليسوعي

(١ لا يذكر احد من المؤرخين انّ يوستينيانوس الثاني الاخرم اضطهد البابا سرجيس وغيره من الآباء لقولهم بالمشيتين بل لاسباب أخر لا يسعنا ان نذكرها هنا اخصُّها لأن البابا سرجيس لم يرضَ باثبات اعمال المجمع المعروف بكوينيسكست الذي نُجِسَت فيهِ حقوق الكرسيّ الرسولي

على النهر العاصي ومن هناك الى بسمار جبيل التي في عمل البترون. واما جيش الروم فما زال يقتل ويحرق ويسبي في بلاد سورية وفونيقية حتى ان لاون القائد (١ وضع يده على الملك وقطع أنفه وحطهُ عن الملك وارسله الى النفي في شرصونة (بلاد القريم) وكذلك اهالي جبل لبنان وثبوا على جيش الروم فقتلوا قوادهم وشتتوا شملهم والذين بقوا هزموهم هزيمة قبيحة. ومن ذلك العصر حصلت الفرقة بين الملكية الذين تمسكوا برأي الملك وبين الموارنة الذين من يوحنا مارون تسموا موارنة واستمروا على الديانة المهذبة وفي الاتحاد مع الكنيسة الرومانية (٢

وما زال يوحنا مارون يجاهد اشرف المجاهدات في انشاء الكنائس وبنيان الكهنوت وتهذيب الرعايا ونظم الرتب البيعية حتى الى سعيهُ بكل قداسة في توب سنة ٧٠٧ ودفن في دير مار مارون الذي في ارض كفرحي من عمل البترون

ثم خلفهُ ابن اخته كوريوس (٣ الذي بعث كما هو محرر في قصة خاله فطلب التثبيت من صاحب الكرسي الروماني وساس قومه سياسة الابرار الى آخر حياته. ثم عقبهُ في الرئاسة على كرسي انطاكية جبرائيل على ما وجدنا في النسخ القديمة

واما الملكية فانهم رجعوا بعد موت يوستينيانوس الاخرم الى الاقرار بالطبيعتين والمشيئتين (٤ وفي زمان الملك قسطنطين قوبرونيموس اقاموا لهم بطركا على كرسي

---

١) هو البطريق لاونس (Léonce) كان حاجباً ليوستينيانوس الاخرم وتولى قيادة الجيش فخافهُ الملك وهمَّ بقتلهِ فسبقهُ لاونس وامرهُ ثم قطع انفهُ ونفاهُ الى بلاد شرصونة (القريم) سنة ٦٩٥. اما يوستينيانوس فعقد عهداً مع ملك البلغار واستعان بمساعدته ملكهُ وقتل لاونس سنة ٧٠٥ وكان آخر ملك يوستينيانوس سنة ٧١١ قتلهُ برداس الملقب فيلبكوس

٢) انَّ كثيرين من الكُتَّاب يرون ان اسم الملكيين لقبٌ عيَّر به البعاقبة آباء الجمع الخلقيدوني وأتباعهم لموافقتهم لقول مرقيان الذي سمى بجمع هذا الجمع ضدّ اوطيخا. اما السماني فانهُ ارتأى انَّ هذا الاسم وُضع للدلالة على غرض مدني (راجع حاشية مطولة في هذا الصدد ذيَّلنا بها تاريخ الطائفة المارونية للدويهي ص ٨٣ – ٨٦)

٣) وجاء في الجمع اللبناني «قوروس» وفي تاريخ الطائفة المارونية «قورش» وليس تحت هذا الاختلاف اللفظي اهمية

٤) انَّ قوماً من الروم تبعوا مقاريوس اسقف انطاكية في ضلالهِ بعد ان حُرم في الجمع السادس. الَّا انَّ هؤلاء لم يدعوا بملكية

انطاكية (١ وجاءوا فقام رؤساؤهم في مدينة دمشق الشام الى وقتنا هذا

ومن بعد جبرائيل دير يوحنا الذي تكنّى هو ايضاً باسم (مارون) وترهّب في دير مارون الذي على النهر العاصي وقد كتب عنهُ ابن القلاعي في السير عن المجامع قائلاً:

وبعده قام مارون ثاني من الدير الرّبّاني وعلم شاطر ملفاني يُدعى يوحنا البار وقد جاء ليانوح وبطرك كان وسكنه في جبل لبنان وايمان مارون ما تغير

وعند ما دنا هذا من الموت أخلى الكرسي الى يوحنا آخر كان أصلهُ من قرية دمادما من عمل جبيل كما هو مرقوم في الاخبار القديمة عن يوحنا الذي تقدّم ذكرهُ انّهُ لما قارب الموت جمع جميع كهنة جبل لبنان واقام لهم بطركاً بدلهُ يُدعى يوحنا من قرية دمادما

فهؤلاء البطاركة الخمسة المتقدّم ذكرهم أمرهم واضح انهم كانوا مقيمين في جبل لبنان وانهم تخافوا بعد تاوفان من الرسالة التي في سنة الف واربعمائة وخمس وتسعين شيّعها جبرائيل ابن القلاعي الى القس جرجس بن بشارة (٢ في الفصل الحادي عشر ووجدنا ايضاً ذكرهم في كرّاسة سريانية كانت عند سالفنا المغفور لهُ البطريرك جرجس من قرية بسبعل قد نسخها داود بن ابرهيم في سنة ١٦٢٤ لليونان فتكون أقدم من تحرير ابن القلاعي بمئة وثمانين سنة وفي نُسَخ أُخرى عرضها علينا اخونا المطران جرجس ولد حبقوق وغيره

(ستأتي البقية)

---

١) لم تنقطع سلسلة بطاركة انطاكية للروم بعد مقاريوس. وقد خلفهُ كما مرّ تاوفان ثم اسكندر الثاني ثم توما ثم جرجس الثاني وخلا بعدهُ الكرسيّ مدّةً لم يسمح خلفاء امّيّة بتعيين خلفهِ الى سنة ٧٦٣ (راجع لوقيان في الشرق المسيحي الجزء الثاني ص٧٦٣ واعمال القديسين للبولنديين الجزء الرابع من تموز). امّا اهل لبنان فلما رأوهُ من صعوبة المخابرات مع خلفاء مقاريوس وهم مقيمون في القسطنطينية طلبوا الى الكرسي الرسوليّ ان يقيم عليهم بطركاً مستقلاً يدافع عن ايمانهم ويحفظهم في الاتحاد مع الكنيسة الرومانية فاتفقوا على اختيار القديس يوحنا مارون (راجع الصفحات ٥١ و٦٣ من تاريخ الطائفة المارونية)

٢) كان القس جرجس بن بشارة في اول امره مارونياً لكنهُ عدل اخيراً الى البدعة اليعقوبيّة فنظم لهُ الاسقف جبرائيل ابن القلاعي كتاباً مستقلاً ينقض فيهِ المذهب اليعقوبي وكان ذلك سنة ١٦٩٥ (تاريخ الطائفة المارونيّة ص ٦٣)